هذه المدينة لم تَعُد ساحليّةً في أيام بلين الطبيعي وانّ البحر لم يزل في هبوط والساحل في تصاعد حتى صارت اليوم على نيّف وثلاثة اميال من البحر . واستشهد المسيو دينر لتأييد رأيهِ بقول المؤرّخ پلُوترك اذ قال ان الملكة كلاوپترة ركبت البحر من الاسكندريّة الى طرسوس لتجتمع بانطوان القائد

(قلتُ) اني راجعت النصَّ المستشهَد بهِ في تاريخ پلُوترك فلم اجد في قرينة الكلام داعياً لتفسيرهِ كما فعل المسيو دينر. فضلًا عن انَّ الكاتب يذكر هناك صريحًا انَّ كلاوپترة ركبت نهر السدنوس صاعدة على فلكٍ وهذا نصُّ المؤرّخ:

Ὥστε πλεῖν ἀνὰ τὸν Κύδνον ποταμὸν ἐν τροχμείῳ χρυσοπρύμνῳ .... Τῶν δὲ ἀνθρώπων οἱ μὲν εὐθὺς ἀπὸ τοῦ ποταμοῦ παρωμάρτουν ἐκατέρωθεν, οἱ δὲ ἀπὸ τῆς πόλεως κατέβαινον ἐπὶ τὴν θέαν (Plutarque, *Antoine*, XXVI)

فينتج ممَّا تقدَّم ان ساحل سوريَّة على طول مداهُ قد ارتفع في الازمنة التاريخية. وانَّ ذلك يظهر خصوصًا من ترب غَوْر المياه في المرافئ القديمة كيافا وصور وصيدا وطرابلس ومن الرواسب البحريَّة التي نراها الآن مرتفعةً فوق سطح البحر والله اعلم

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما قبل)

٥ كتبهُ الطبيَّة

قد مرَّ انَّ ابن العبريّ كان راسخ القدم في فنّ الطبّ يعدُّهُ معاصروهُ حكيمًا نطاسيًا من احذق اطباء عصرهِ وقد بيَّنَّا ما نالهُ لذلك عند الوجوه والاعيان لاسيَّما ملوك التتار من الحفاوة والاكرام. بيد انهُ لم يكتفِ بمزاولة هذه الصناعة الشريفة التي عليها يتوقَّف اعتدال الامزجة وقوام الابدان بل احبَّ ان يفيد آل عصره بتآليفهِ الطبيَّة ويورث السلف ميراثًا حسنًا اكتسبهُ بجدّهِ وخبرتهِ

وهذا الارث الجليل عبارة عن شروح وتلخيصات وترجمات وتآليف خاصَّة. فلابن

العبري شرحان مهمّان الاوّل شرح فصول (Aphorismi) بُقراط . وكان كتاب هذا الحكيم الملقّب بابي الطبّ يُعدّ في سالف الاعصار كأنجد العلوم الطبّية ومدخلها فدأق عليه كثيرٌ من الاطبّاء شروحاً مطوّلة . وتفسير ابن العبري كان ادقّ نظراً واصوب مقالاً ممّن تقدّمهُ صنّفهُ المؤلف بالعربية وهو اليوم اعزّ من التُراب الاعظم لم نعثر عليه في المكاتب الاوربيّة او الشرقية (١ . والشرح الثاني وضعهُ ابن العبريّ في السريانية على كتاب طانر الشهرة بين العرب وهو كتاب حنين بن اسحق المتطبّب النصراني المتوفّى سنة ٨٧٨ مسيح . فبلغ ابو الفرج في شرحه الى باب الترياق وهو نحو ثلثيه فصدّهُ الموت عن اتمامه . وهذا الشرح ايضاً عزيز الوجود لعلّهُ هو الموصوف في قائمة كتب باريس الخطّية (تحت عدد ٢٨٦٣) . وقد نسب ايضاً بعض المحدثين كوستنفلد (٢ وفنريخ (٣ وريت (٤ ولوكلار (٥ شرحاً لابي الفرج على كتابي جالينوس في المزاج والعناصر وذلك سهوٌ فانّ هؤلاء الكتبة لم يميّزوا بين ابي الفرج بن العبريّ وابي الفرج بن القفّ وابي الفرج عبدالله بن الطيّب (راجع ص ٢٩٢) فعزوا تأليف الواحد الى الآخر مغترّين بتشابه الاسماء .

ونقل ابن العبري الى السريانية كتابين في الطبّ احدهما كتاب ديوسقوريدس اليوناني في المفردات الطبّية (Περὶ ὕλης ἰατρικῆς) وفيه صور النباتات وتعريف خواصّها ومنافعها . والآخر كتاب قانون الشيخ الرئيس ابن سينا في الطبّ الّا انّهُ لم ينجزهُ

وقد لخّص ايضاً كتاب ديوسقوريدس المذكور فجمع في جلد صغير الحجم جملاً ما تضمّنهُ . ومن مخطوطاته المفيدة كتاب مختصر الادوية المفردة . واصلهُ تأليف نفيس في ثلاثة مجلدات وضعهُ ابو جعفر احمد بن محمّد الغافقي من اعيان الاندلس (٦ استقصى فيه ما ذكرهُ ديوسقوريدس وجالينوس وغيرهما فاخذ ابن العبري زبدتهُ واختصرهُ اختصاراً حسناً

---

١) قد انكر العلّامة شتينشنيدر (Steinschneider : *d. arab. Uebersetz. a. d. Griech.*, p. 388) انّ ابا الفرج بن العبري صنّف شرحاً على فصول بقراط . والامر لا شكّ فيه كما يؤخذ ذلك من جدول كتب ابن العبري لاخيه برصوما صائغ (Chronic. III, 479)

٢) Wüstenfeld : *Gesch. d. arab. Aerzte*, n° 240

٣) Wenrich : *de auct. Graec. Versionibus*, p. 242 et 270

٤) Wright : *Syriac Literature*, p. 272

٥) Leclerc : *Hist. de la Médecine arabe* II, 149

٦) راجع الجزء الثاني من كتاب طبقات الاطبّاء لابن ابي اُصيبعة ص ٥٢

ومن تآليف ابن العبري الخاصة في الطبّ كتابٌ لهُ عربيّ اللهجة واسع الابواب كثير النافع جمع فيهِ كلّ آراء الاطباء في الموادّ الطبيّة ذُكر في جدول اعمالهِ ولم يُبيّن لهُ اسمٌ خصوصي . وقد صنّف ايضاً كتاباً آخر بالعربية في الطبّ شبّه استهُ على السمعاني في المكتبة الشرقية (الجزء الثاني ص ٢٦٨ في الحاشية) فدعاهُ كتاب فائدة المكسب (حفظا بهشم مهاؤثا) والصواب كما جاء في نسخ حسنة الضبط (١: كتاب منافع اعضاء الجسد (حفظا بهشم مهاؤثا بهوبعت فحذا) . واغلب هذه الكتب الطبيّة قد استولت عليها يدُ الضياع فتُقتدت

٦ الكتب النحويّة واللغويّة

انّ ابن العبري لإمام النحويين السريان بلا منازعة أنسى من تقدّمهُ بهذا الفنّ كيعقوب الرهاوي (المتوفّى سنة ٥٨٠ م) والياس الطيرهاني (١٠٤٩ م) وساويرو بن ساكو الكرخيتي (١٢٤١ م) ومعاصره يوحنّا بن ذُعبي فصار اليهِ المرجع وعليهِ المعوّل في هذا العلم دون سواهُ . والحقّ يقال انهُ لم يدع مطلباً الّا استرعب شرح اصولهِ ومبحثاً الّا استوفى ذكر فصولهِ . وما خُصّ بهِ ابن العبري في تآليفهِ النحويّة انهُ حذا مثال العرب واستنهج سبيلهم في ما كتبوهُ عن آداب لغتهم وقد اتمّ خصوصاً بكتاب المفصّل (٢ لجار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٤ م) وكان وتتئذٍ هذا التأليف عمدة العرب في النحو وفيهِ قيل :

مُفصّلُ جار اللهِ في الحُسن غايةٌ والفاظهُ فيهِ كدُرٍّ مفصّلِ
ولولا التُقى قلتُ المفصّل مُعجزٌ كآيٍ طوالٍ من طوالِ المُفصّلِ

قسم ابن العبري كتبهُ النحويّة كالزمخشري الى اربعة اقسام بحث فيها عن الاسماء والافعال والحروف والمشترك من احوال الثلاثة وكان نحاة السريان يقسمونها قبله على طريقة اليونان الى سبعة اقسام . وقد اخذ ايضاً عن العرب كثيراً من اصطلاحاتهم فجلا الحقيقة عن عدّة امور التبست على مَن تقدّمهُ من نحاة السريان لقصر باعهم في معرفة آداب العرب مع انّ بين اللغتين من التشابه ما لا يخفى

---

١) Chronic. III, 470

٢) راجع تاريخ اللغة السريانية للدكتور مركس (A. Merx : *Hist. artis gram. ap. Syros*, p. 229-275)

ولابن العبري في نحو اللغة السريانية كتابان شهيران طالما تداولتهما ايدي الطلبة ولا تكاد تخلو منهما خزانة من مكاتب اوربّة الخطّية. فالاوّل هو كتاب اللمعي اي اللُّمَع (ܟܬܒܐ ܕܠܡܥܐ) ضمّنهُ ما ينيف على مئتين وعشرة مطالب في كلّ ابواب نحو اللغة السريانية (١ وهذا الكتاب قد عُني بنشرهِ في باريس سنة ١٨٧٢ الخوري مرتين العلّامة المستشرق الفرنسي. غير انّ هذه الطبعة قليلة نضارة الحرف لانها مطبوعة على الحجر. والكتاب الثاني هو كتاب المدخل (ܟܬܒܐ ܕܡܥܠܐ) صنّفهُ ابن العبري بالشعر وهو على البحر المعروف بالافرامي ذي الاربع عشرة حركة يقسم كلّ بيت الى شطرين متوازنين مصرعين كبحر الرجز عند العرب. وقد علّق المؤلف عليهِ شروحاً وتفاسير مستجادة وهذا الكتاب ملخّص عن كتاب اللُّمَع السابق ذكرهُ ابوابهُ نحو من ستين باباً. قد نشرهُ بالطبع المعلّم مرتين المذكور وهو مضمون الجزء الثاني من اعمال ابن العبري النحوية. وكان سبقهُ الى طبعهِ الدكتور برتو (Bertheau) في غوتا سنة ١٨٤٣ وفسّرهُ الى اللاتينية وذيّلهُ بشروح وافادات شتّى

وصنّف ابن العبري كتاباً ثالثاً في نحو اللغة السريانية دعاهُ كتاب الشرارة (ܟܬܒܐ ܕܫܪܪܐ) فيهِ خُلاصة قواعد هذه اللغة الّا انّ الموت عاجلهُ قبل اتمامهِ ولا نعلم أبقي منهُ أثر او لا

وقد نظم ابن العبري قصيدة لغويّة مطوّلة تنيف على ستمائة بيت من البحر الافرامي المذكور ضمّنها على طريقة حروف المعجم ما وجدهُ من الالفاظ السريانية المتشابهة اللفظ المتباينة المعنى وألحقها بشروح لبيان هذه المعاني المختلفة. وقد طُبعت ايضاً هذه القصيدة في آخر اعمال ابن العبري النحوية الموصوفة آنفاً ومنها نسختان خطيتان في خزانة كتبنا الشرقية

٧ الكتب الادبيّة

انهُ لأمر عجيب كيف برّز ابن العبري في كلّ اصناف العلوم وفنون الانشاء التي قلّما تجتمع في رجلٍ واحد لما تقتضيهِ في الكاتب من الصفات الفريدة والسجايا المتنوّعة العديدة. أفلا ترى مثلاً ان كبار الفلاسفة لم يحكموا نظم الاشعار ولم يقصدوا القصائد لما بين

١) وقد اخذ عليهِ السيّد الجليل والحبر العلّامة اقليمس داود رئيس اساقفة دمشق على السريان في مقدّمة كتابهِ الموسوم باللمعة الشهيّة في نحو اللغة السريانية (ص ٢٤ و ٢٥) انهُ لم يتبحّر في احوال اللسان السريانيّ القديم

الشعر والفلسفة من التباين. وكذا قل عن النحو والرياضيات والعلوم الدينية لا يبرع فيها مما الا من نشأ كابن العبري نسيج وحده وفريد دهره فانهُ كان جامعاً لشتات العلوم يُشار اليهِ بالبنان في كلّ ضروبها. وكتبهُ الادبية اذا عرضتها للنقد وقستها باجود ما صنّفهُ السريان وجدتها تضاهيها حُسناً وتباريها انسجاماً. ومن ذلك ديوان شعرهِ السرياني الذي جمع كلّ ما لطف وراق لفظاً ومعنى. وهذا الديوان قد وقف على ضبطهِ وطبعهِ في رومة العظمى سنة ١٨٧٧ حضرة الاب اوغسطينوس الشبابي الراهب الماروني وهو يشتمل على ثمانين قصيدة وفي آخر الكتاب معجم الالفاظ الغريبة بالسريانية واللاتينية. غير ان هذا المجموع لا يتضمّن كلّ شعر ابن العبري وقد وجدنا في مكاتب اوربّة كباريس واكسفرد وبرلين وروميةَ نسخاً خطيّة من ديوانهِ تشتمل ما ينيف على ذلك كثيرًا. وكان الدكتور لنجرك (Lengercke) اهتمّ في سنة ١٨٣٦ بطبع قسم منها نقلًا عن نسخة باريس وشفعها بترجمة لاتينية وهي طبعة كثيرة الاغلاط

ومواضيع هذه القصائد مختلفة تشهد لابن العبري بجودة القريحة والتفنّن فمنها مديح ورثاء ومنها اوصاف وحكم وتاريخ وزهد وعتاب. ولهُ في اسرار الدين الاقوال الحسنة منها قصيدتهُ في الثالوث الاقدس لم تُرَوَ في ديوانهِ مطالعُها :

مُحُس هُزُهُا سُعُم حقّا بِكُلّ حِنْ هُحطا هُم هُا

وهي طويلة. ومن نظمهِ العجيب قصائدهُ الفلسفية في النفس وخواصّها وقواها واتحادها بالجسد وفي السماء وتكوّنهِ ومحاسنهِ وبروجهِ وافلاكهِ وفي الجسد وحكمة الخالق في تركيبهِ. وقد ورد في جدول كُتُب ابن العبري الذي رواهُ السمعاني في ذيل الصفحة ٢٦٩ من الجزء الثاني في مكتبتهِ الشرقية ذكر قصيدة شينية نظمها ابن العبري في النفس وارصانها على طريقة ارسطو. ولم نجد لها اثرًا في نسخ ديوانهِ بل ولم تُذكر في بقية قوائم تآليفهِ فتأمّل

وقد امتاز ايضاً شاعرنا المُفلق بالقصائد اللاهوتية على طريقة الصوفيين فيتنزّل بالكمالات الالهية كعمر بن الفارض ويصفها تارة بصورة الخمرة الطيّبة واخرى بهيئة فتاة فريدة الخصال بهيئة المنظر كما في نشيد الانشاد. ولا يجهل من لهُ المام بالشعر السرياني قصيدتهُ في الحكمة الالهية المستهلّة بقولهِ:

هُحُه حُس حُطحُطا لهكُهُا وهُحِهُوْ حُهحُهُا أُسُهُه

وهذه القصيدة الطنّانة كان العلّامة جبرائيل الصهيوني الماروني طبعها لاوّل مرّة في

باريس سنة ١٦٢٦ فجدَّد طبعها القس يوحنا نطين اللبناني في رومية سنة ١٨٨٠ وعلَّق عليها شرحًا وجيزًا بالعربية. وقد استحسنها بعض المحدثين فنظمها بالشعر العربي وهذا اوَّلها(١ :

بدتْ تجاو بعالمنا سناها ... فنورُ الشمس يخجلُ من ضياها
فتاةٌ راق منظرها ورقَّت ... بهامٌ ارسلتها مقلتاها (٢
بتول كاعبٌ امْ عجوزٌ ... صفاتٌ ليس يجمعها سواها

ومنها: بها النور انجلى والليل أدجى ... واما الميزان فانظراها
وقد غدت العناصرُ والدراري ... تُساسُ بها وتلمع في سماها
ومنها البرق والصعقات كانت ... فراعجبًا لما صنعت يداها

ومنها: شُغفتُ بحُسنها فضنيتُ وجدًا ... بها من يوم أُظهر لي بهاها
طويتُ على الطوى صديانَ أرعى ... سقيمًا نجم ليلٍ ما تناهى
سلكتُ لاجلها في كلّ شعبٍ ... فما بقيت بلادٌ لم أطاها
ولولا انّ بي داء عياء ... لما عفتُ التطوُّفَ في رضاها

وكلُّها معانٍ مبتكرة اخرجها ابن العبري مخرجًا حسنًا بنظم يزري باللآلئ

ومن تآليفه الادبية غير المطبوعة كتابهُ الموسوم بدفع الهمّ صنَّفهُ بالعربية منهُ في خزانة مكتبتنا الشرقية نسختان حسنتان. وقد نقلنا عنهُ في مجموعنا الادبي لكليات اوربة (Chrestomathia arabica, p. 253) نبذة في منفعة الشكر ومضرَّة الكُفر. والكتاب مقسوم الى اثني عشر بابًا هاك اسماءها: ١ً في فضيلة الديانة ٢ً في منفعة الشكر ٣ً في مدح العفَّة ٤ً في شرف التواضع ٥ً في حسن الرحمة ٦ً في فائدة التوبة ٧ً في فضيلة العقل ٨ً في منفعة المشورة ٩ً في مدح حُسن الخُلق ١٠ً في شرف الكرم ١١ً في حسن العدل ١٢ً في فائدة الحلم. وطريقة الكاتب في كلّ باب ان يعرّف ما اراد وصفهُ ويقابلهُ بضدّهِ لتظهر خواصُّهُ بالمقابلة ويزيد ذلك بآيات الكتب المنزلة واقاويل الحكماء وامثال الشرفاء وتاريخ الاقدمين

ومنها ايضًا كتاب صنَّفهُ بالسريانية دعاهُ بالقصص المضحكة (ܕܟܘܟܝ ܘܐܬܘܬܐ ܕܡܝܣܚܩܢܐ)

---

١) راجع دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني الجزء الاول ص ٥٩٥.
٢) كذا في الاصل وبين الشطرين تباين ظاهر

وهو مجموع مطوّل ضمّنهُ صاحبهُ احاديث مطربة وروايات مبهجة واقاويل فكاهية غايتها ترويح النفس وبسط القلب. وهذا الكتاب قد انجز طبعهُ في لندن عام ١٨٩٦ المستشرق العلاّمة الشهير بدجر (Badger) واحكم ضبطهُ وترجمهُ الى الانكليزية وذيّلهُ بعدّة حواشٍ تاريخية ولغوية وادبية (ستأتي البقية)

في الروايات الخياليّة

للاب اميدي لوريول اليسوعي

(تابع لما سبق)

ولمّا صارت حالة اوربّة الى الهدوء والسكينة في القرون المتوسطة وامتزجت امم الشمال الحديثة العهد بقدماء سادة العالم من الرومان وغيرهم ثارت فيهم روح الحمية وحملتهم النخوة على تخليد مآثرهم. وكان العرب وقتئذٍ يملكون الاندلس وقسمًا من جنوبي فرنسة فيدخل شعراؤهم على الامراء يشنّفون آذانهم بمديحهم ويطربون مسامعهم باحاديثهم وفكاهاتهم. فائتسى بهم شعراء الغرب واخذوا عنهم قوافي ازجالهم وجعلوا يطوفون في بلاد اوربة فيتابون ملوكهم مجتدين نوالهم باناشيدهم المطربة واقاصيصهم المستطرفة يمدّدون فيها محامد الاشراف ويطنبون على مكارم اجدادهم. وهم المشهورون عندهم باسم البَرد (barde) والتروبادور (troubadour) والمنيسترل (ménestrel)

فمن ذلك نتجت تلك الروايات الانيقة التركيب السهلة الالفاظ الرقيقة المعاني التي لا تزال الى يومنا تبهج القلوب وتفكه الالباب. ومن خواصّ هذه الروايات انّهُ يغلب عليها روح الدين وتستنكف للهجر والبذيء من الكلام وتأبى الهزل المستقبح وتصون عِرض النساء. ولا بدعَ فانّ تلك الاجيال كانت مُشربةً روحَ الدين وتعمل بموجب وصايا الانجيل الشريف حتى لم يأنف بعدئذٍ فينيلون احد مشاهير اساقفة فرنسة ان يكتب روايةً خيالية لتهذيب حفيد لويس الرابع عشر فوضع لهُ قصّة تليماك وادمجها بكلّ ما وقّ وراق من الشعائر الحماسية والعواطف اللينة والمواعظ الحكمية والتعاليم السياسية. وكتابهُ هذا تحفةٌ من متاحف اللغة الفرنسية يُدرس كما تدرس تآليف اكبر الادباء.